

اجتهادات بين السلطة والمال

ليست المقولة التي صارت حكمة (السلطة المطلقة مفسدة مطلقة) إلا تعبيراً عن خطر الحكم الدكتاتوري على الحكام، وليس فقط على شعوبهم وبلادهم. فالحاكم الذي يظن أنه امتلك كل شيء، حين تتركز السلطة بين يديه، لا يعرف أنه ليس مالكا بل مملوكاً لهذه السلطة.

فما أن يستحوذ حاكم على السلطة كلها، ويطمئن إلى أنها صارت طوع بنانه، حتى يبدأ خطرها عليه من حيث لا يدري وترتبط بداية الخطر في هذه الحالة، في الأغلب الأعم، بابتعاد الحاكم عن الواقع تدريجياً إلى أن ينفصل عنه فيصبح صعباً عليه أن يدرك ما يحدث حوله، ويصل في النهاية إلى الحالة النمطية في مجال الدكتاتوريات وهي إنكار الواقع.

ويشبه الحاكم المطلق في هذه الحالة صاحب المال الذي يراكم ثروته على حساب المجتمع وفقرائه، ويتفنن في ابتكار سبل جديدة لتعظيمها بأكثر مما يهتم باختراع أساليب حديثة لتطوير المنتجات والخدمات التي يبيعها.

فالقاسم المشترك بين صاحب السلطة المطلقة وصاحب الثروة من هذا النوع هو أن كلاهما يحصل على ما ليس له، ثم يصبح مملوكاً لهذا الذي حصل عليه في الوقت الذي يظن أنه هو المالك. وإذا كان الأديب الفرنسي الرائع موليير برع منذ أكثر من ثلاثة قرون في تصوير حالة الثرى الذي يصير مملوكاً لما له، فقد ارتبطت براعته في مسرحية

«البخيل» بتجسيد حالة كل من يصير أسيراً لما يملكه من خلال تحليل سيكولوجى عميق لشخصية هارباجون أو البخيل فى هذه المسرحية.

فالمغزى الأهم لهذا العمل الفنى لا يتعلق بالمعنى المباشر للبخل، بل يتصل بدلالته على حالة الشخص الذى يصبح ملكاً لما يملكه، سواء كان مالاً أو سلطة. وتبلغ براعة موليير فى التعبير عن هذا المعنى من خلال تصوير كيف يلتهم المال (أو السلطة) الشخص الذى يملكه، وهو يمضى حياته ساعياً إلى الحفاظ عليه، والتوسع فيه وخائفاً من أن يفقده.

ولذلك ليس غريباً أن يتعاون صاحب السلطة المطلقة وصاحب الثروة غير المشروعة، ويدعم كل منهما الآخر، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر. فهذا التعاون نتيجة طبيعية لما يجمع بينهما.

ورغم أن مسرحية موليير هذه ترجمت إلى العربية، وجُسدت على المسرح عدة مرات، مازال العرب هم الأقل استيعاباً لمغزاها بين شعوب العالم.